obeikandl.com

-١-

التعريف بنور الدين محمود
و مصادر تاريخه

التعريف بنور الدين محمود
و مصادر تاريخه

نتعرض في الصفحات التالية تعريفاً لنور الدين محمود (١١٤٦- ١١٧٤م) ، ومصادر تاريخه وذلك علي نحو موجز كي يكون ذلك مدخلاً لتناول جهاده ضد الصليبيين .

نور الدين محمود ، هو ابن عماد زنكي أتابك الموصل (١١٤٦م) ابن آق سنقر ، ولد من أسرة تنتمي إلي قبيلة السابيو التركية عام ١١١٨م ، والعام المذكور رحل فيه الملك الصليبي بلدوين الأول (١١٠٠- ١١١٨م) الذي يعد المؤسس الفعلي لمملكة بيت المقدس الصليبية ، وهو نفسه العام الذي رحل فيه الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين Alexius Comnene ت (١٠٨١- ١١١٨م) الذي عاصر مقدم الحملة الصليبية الأولي (١٠٩٥- ١٠٩٩م) ، وذلك يعني انه ولد في عصر الحروب الصليبية بعد ١٩ عاماً من مقدم الصليبيين إلي المنطقة و غزوهم الدموي لبيت المقدس عام ١٠٩٩م .

تربي نور الدين محمود منذ نعومة أظافره تربية دينية فقد حفظ القرآن الكريم ، وفيما بعد درس الفقه علي المذهب الحنفي ، كذلك سمع الحديث النبوي .

أما الحادثة المحورية في حياته فتمثلت في نجاح المسلمين بقيادة والده في فتح الرها Edessa الصليبية عام ١١٤٤م ، وكان ذلك بمثابة الخطوة الأولي من أجل إسقاط باقي الكيان الصليبي الغازي الدخيل في صورة إمارة أنطاكية ، وإمارة طرابلس ، ومملكة بيت المقدس الصليبية ، ومن بعد ذلك اغتيل عماد الدين زنكي بعد عامين من تحقيق الانتصار البارز المذكور في عام ١١٤٦م ، وقد أثرت تلك الحادثة عليه في إدراكه لتكالب الأعداء و تآمرهم ، ولذلك أخذ نفسه – علي ما هو مرجح- بالحيطة و الحذر

قاد نور الدين محمود المسلمين نحو الجهاد ضد الصليبيين ، ويقال أنه فتح (٥٠) حصناً ، ومع ذلك لم يتمكن المسلمون في عهده من إسقاط أية إمارة صليبية نظراً للظروف التي صاحبت جهاده .

تمتع ذلك القائد بالحكمة ، وبعد النظر ، كذلك وصف بالتدين حتى من جانب الصليبيين أنفسهم ، ولعل ذلك يرد علي المؤرخين الماركسيين الواهمين الذين توهموا

أن التاريخ كله تحرك من خلال الدافع الاقتصادي ، وأن الدافع الديني ضرب من الخيال.

تمني نور الدين محمود الاستشهاد في ساحات الوغي ، و لم ينل ذلك الشرف ، ومع ذلك لقبه المعاصرون بعد وفاته بالشهيد تقديراً له .

تجدر الإشارة إلي ارتباطه بالزواج من عصمت الدين خاتون التي وصفت بالحكمة و الحصافة ، وكانت لها أعمال البر ، والتقوي ، وشاركته كفاحه ضد الصليبيين .

توفي نور الدين محمود عام ١١٧٤م بمرض الذبحة الصدرية ، بعد أن قام بدوره البارز في قيادة المسلمين نحو الجهاد ، ويمكن وصفه بمهندس حركة الجهاد الإسلامي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي.

من المهم هنا الإقرار بأن تاريخ الحروب الصليبية لا يكتب بدون نور الدين محمود و دور المسلمين في الجهاد تحت قيادته .

يعد نور الدين محمود من المظلومين في التاريخ إذ حاز تلميذه صلاح الدين الأيوبي أغلب الأضواء نظراً لنجاحه في إسقاط مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١١٨٧م) و معه المسلمين بينما لم يتمكن نور الدين محمود من قيادتهم نحو إسقاط أية إمارة صليبية أو تلك المملكة ذاتها ، وهكذا علي حين وجدنا مئات الكتب ، و المقالات ، والبحوث عن صلاح الدين ، وجدنا قلة ممن ألفوا عن نور الدين محمود .

واقع الأمر ، من الضرورة بمكان ؛ إدراك دور كل قائد من قادة المسلمين في ذلك العصر من خلال الظروف التي أحاطت به ، ولا ننصب المشانق لرموزنا في عصر الحروب الصليبية .

يكفي نور الدين محمود اكتشافه لتلميذه الفذ صلاح الدين الأيوبي ، وإعطائه الفرصة الذهبية نحو إبراز قدراته ،كما لا نغفل أن الأخير مكث لديه لمدة (١٠) سنوات ، وهكذا لا نجاوز الحقيقة إذا قررنا أن صلاح الدين نفسه هو صنيعة عصره ،و أستاذه مهندس حركة الجهاد الإسلامي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي .

أما مصادر تاريخ نور الدين محمود فهي متعددة ،ونذكر المصادر العربية و منها :

- ابن القلانسي (ت١١٦٠م) مؤلف كتاب ذيل تاريخ دمشق أو المذيل علي تاريخ دمشق ، وقد عمل في ديوان الإنشاء و امتلك العديد من الوثائق المهمة ، ويعد الكتاب المذكور العمل التاريخي الوحيد له ، ويقدم لنا مادة تاريخية مهمة خاصة عن المرحلة الواقعة بين عامي ١١٥٤م ، وهو العام الذي أخضع فيه نور الدين محمود مدينة دمشق – حتى عام وفاته عام ١١٦٠م حيث توقف تاريخه عند ذلك العام .

العماد الكاتب الأصفهاني (ت١٢٠١م) مؤلف كتاب البرق الشامي الذي أختصره الفتح البنداري و يعد المؤرخ المذكور من أهم المصادر التاريخية عن عصر نور الدين محمود ، وقد قدم فيه عرضاً لتطور الدولة النورية و أدوارها السياسية و العسكرية في مواجهة الصليبيين ، كذلك سلط الأضواء علي العلاقات النورية - الفاطمية .

تجدر الإشارة إلي أن العماد الكاتب الأصفهاني كان يحرص في كتاباته التاريخية علي السجع ، والمحسنات البديعية علي اعتبار كونه من كبار كتاب عصره .

لا نغفل مصدراً مهماً آخر له هو "خريدة القصر وجريدة العصر " حيث أرخ فيه للشعراء الذين عاصروا نور الدين محمود ، وكان لهم دورهم في مديحه علي اعتبار دوره في الجهاد ضد الصليبيين .

- ابن الأثير الجزري (ت١٢٣٠م) و كتابه الكامل في التاريخ ، و التاريخ الباهر و يعد من كبار المؤرخين المسلمين البارزين في العصور الوسطي ، ويلاحظ هنا أنه ربيب البيت الزنكي ، لذلك حرص علي الدعاية للزنكيين خاصة عماد الدين زنكي و ابنه نور الدين محمود و نجد ذلك واضحاً في الباهر .علي نحو خاص ، ويقدم لنا ذلك المؤرخ مادة تاريخية مهمة عن نور الدين محمود ، وأبرز المعارك التي خاض غمارها ، ومعه المسلمون ضد الصليبيين خاصة إمارتي أنطاكية ، وطرابلس ، وكذلك التسابق بينه و بين مملكة بيت المقدس الصليبية من أجل إخضاع مصر الفاطمية الغنية اقتصادياً و الضعيفة سياسياً .

كذلك نجد ابن الأثير يحاول إخفاء طابعاً دينياً علي شخصية نور الدين محمود ، ويشبهه بالخلفاء الراشدين ، ومع ذلك علينا البحث عن الدوافع الحقيقية من وراء

السياسة الخارجية لدولته ، وهي علي نحو واقعي سياسية و اقتصادية ، ولم تكن ذات بعد ديني فقط ، بل تجمعت الدوافع معاً كي تصنع التاريخ حينذاك .

أبو شامة القدسي (ت ١٢٦٦م) و كتابه الروضتين في تاريخ الدولتين النورية و الصلاحية ، ويعد مصدراً تاريخياً علي جانب كبير من الأهمية حيث اعتمد علي العديد من الوثائق ، ويمتاز كتابه بغزارة التفاصيل ، ومن العسير الاستغناء عنه عند كتابة تاريخ نور الدين محمود .

- ابن العديم الحلبي (ت ١٢٦٠م) المؤرخ الحلبي مؤلف كتابي بغية الطلب في تاريخ حلب و وزبدة الحلب من تاريخ حلب ، ويمتاز المؤرخ المذكور بتخصيصه لكتابه عن مدينة حلب حاضرة شمالي بلاد الشام المزدهرة اقتصادياً خاصة علي الصعيد التجاري ، والتي كانت قاعدة الدولة النورية قبل توسعها جنوباً صوب دمشق ، وتفيد كتاباته في إلقاء الأضواء الكاشفة علي أبرز أحداث صراع نور الدين محمود مع إمارة أنطاكية الصليبية ، والتي شكلت قسماً مهماً من دوره في حركة الجهاد الإسلامي .

- ابن قاضي شهبة (ت ١٤٤٨م) مؤلف سيرة نور الدين محمود بعنوان : الكواكب الدرية في السيرة النورية ، وقد اعتمد فيه علي المصادر المعاصرة و المتأخرة وقد وصلت إلينا علي نحو جعل من كتابه تجميعاً لما ورد عن نور الدين محمود في المصادر التاريخية الأخرى .

أما المصادر السريانية فنذكر منها :

الحولية السريانية المجهولة Anonymous Syriac Chronicle ، وتعد من المصادر المهمة من عصر نور الدين محمود خاصة فيما يتعلق بالجانب العسكري ، وصراعه مع الصليبيين .

و إذا اتجهنا إلي المصادر اللاتينية نجد من أمثلتها :

- المؤرخ الصليبي البارز وليم الصوري William of Tyre مؤلفات كتاب تاريخ الأعمال التي جرت فيما وراء البحر AHistoria reum in part bus Transmarinis gestarum ، وهو بالإنجليزية A History of deeds done beyond The Sea.

و يعد مصدرنا الصليبي الرئيسي عن صراع نور الدين محمود تجاه إمارتي أنطاكية و طرابلس ، ومملكة بيت المقدس ، ويمتاز بمطالعته وثائق الملكة الصليبية خاصة خلال عهد الملك أمالريك الأول Amalric I (١١٦٣- ١١٧٤م) ، وكذلك غزارة التفاصيل و امتلاكه لرؤية خاصة به من خلال اتساع ثقافته ، وعمق قراءاته ، ولذلك وجدناه أحياناً ينقد الصليبيين علي غير المعتاد في كتابات المؤرخين الذين وصلت إلينا كتاباتهم .

و لا نغفل هنا ملاحظة أن ذلك المؤرخ الصليبي وصف نور الدين محمود بأنه أمير عادل ، مراع لتقاليد دينه بما دل علي أنه أحياناً أعترف لعدو الصليبيين الرئيسي حينذاك ببعض المحاسن .

كذلك لا نغفل المؤرخ الفرنسي أودو دي دول Od0 of Deul مؤلف رحلة حج لويس السابع (١١٣٧- ١١٨٠م) De Profectione Ludovici VII in Orientemالذي شارك في الحملة الصليبية الثانية (١١٤٧- ١١٤٩م) ،و التي كان من المفترض توجهيها إلي الشرق من أجل استرداد إمارة الرها Edessa من قبضة المسلمين الذين فتحوها عام ١١٤٤م ، فإذا بها تتجه نحو حصار مدينة دمشق التي كانت في الأصل مهادنة مع مملكة بيت المقدس الصليبية !!.

لا نغفل هنا ملاحظة أن الحملة الصليبية الثانية تعد مرحلة فارقة في تاريخ نور الدين محمود في بلاد الشام ، إذ جعلته يدرك خطورة بقاء دمشق دون إخضاعها ، وفي أعقابها وضع نصب عينيه ضرورة ضمها إلي حلب ، وهو أمر حدث عام ١١٥٤م بعد خمسة أعوام فقط من حدوثها ، وبالتالي اتحدت حلب و دمشق لأول مرة منذ بداية العصر السلجوقي .

أما المصادر البيزنطية فنذكر منها المؤرخ كيناموس Cinnamus في كتابه أعمال حنا و مانويل كومنين John and Manuel Commune و الذي يعد مصدراً أساسياً من عهد الإمبراطور مانويل كومنين (١١٤٥- ١١٨٠م) الذي عاصر نور الدين محمود ، وقد عقد الأخير معه اتفاقية عام١١٥٩م التي كان من نتائجها وقف العمليات العسكرية المشتركة بين البيزنطيين و الصليبيين ، ويلاحظ هنا أن الدبلوماسية النورية هدفت إلي محاولة تحييد بيزنطة بقدراتها العسكرية الكبيرة قدر الإمكان حتى لا تواجه خطرين صليبي و بيزنطي في وقت واحد ، وقد نجحت في ذلك في بعض الأحيان علي نحو جعلها تحافظ علي كفاءتها الحربية في مواجهة العدو الصليبي علي أرض بلاد الشام .

أما إذا ما اتجهنا صوب كتب الرحلة ؛ نجد أنها تحتل أهميتها من بين مصادر تاريخ نور الدين محمود ، ومن أمثلتها الرحالة اليهودي Benjamin of Tudela (ت ق ١٢م) الذي زار بلاد الشام في عهد نور الدين محمود ، وقدم لنا إشارات عن أوضاعها الحضارية و دور اليهود في ذلك العصر علي المستويين الصناعي و التجاري.

من جهة أخرى ، تعد الآثار من المصادر المهمة عن نور الدين محمود ، و في هذا المجال نستفيد مما أورده النعيمي (ت ١٥٥٠م) في كتابه الدارس في تاريخ المدارس

و كذلك عز الدين بن شداد (ت ١٢٨٥م) في كتابه الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة ، وكذلك مقالة نيكيتا اليسيف بعنوان:

" Les monuments de Nur Al- Din " , B.E. O.,XII, Annee 1949-1951.

و فيما يتصل بالنقوش ، نجد كتاب كومب وويت وسوفاجيه بعنوان :

Corpus Inscriporum Arabicorum

أي الجامع للنقوش العربية ، ويعد الكتاب المذكور بمثابة " عمدة " النقوش العربية ، وعمل ريادي للمستشرقين الفرنسيين في المجال المذكور .

كذلك لا نغفل مقالة نيكيتا اليسيف عن ألقاب نور الدين محمود ،والتي استقاها من النقوش و هي كالآتي :

"La litualiture de Nur Ad – Din ' B.E. O., XIV, Annee 1952-1954.

أما إذا اتجهنا صوب الدراسات الحديثة ، نجد هناك بعض الدراسات من أمثلتها :

حسن حبشي : نور الدين و الصليبيون ط. القاهرة ١٩٤٨م .

(أول دراسة أكاديمية عربية عن نور الدين محمود)

حسين مؤنس : نور الدين محمود ، سيرة مجاهد صادق ،ط . القاهرة ١٩٥٩م .

شاكر أبو بدر : الحروب الصليبية و الأسرة الزنكية ،ط. بيروت ب- ت .

علي الصلابي : القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي ،ط. القاهرة٢٠٠٧م .

عماد الدين خليل : نور الدين محمود الرجل و التجربة

كارم عبد الغفار : باعث الخلافة الراشدة نور الدين محمود ،ط. القاهرة ٢٠٠٧م .

ليلي عبد الجواد : السلطان الملك العادل نور الدين محمود ،ط. القاهرة ٢٠٠١م .

محمد مؤنس عوض : سياسة نور الدين محمود الخارجية (١١٤٦- ١١٧٤م)

رسالة دكتوراه – كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٨م .

محمود عقلة الرفاعي : واقع التربية الإسلامية في عهد نور الدين في بلاد الشام

رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة اليرموك عام ١٩٩٤م

أما بالنسبة للأوروبيين فإن أشهر عملين هما :

H. G.bb. The Career of Nur Al – Din ,in Setton,
A History of The Crusades, Vol.I , Pennsylvania 1958.

و قد قمت بترجمتها في الكتاب التالي:

سيتون ، تاريخ الحروب الصليبية الجزء الأول فصول مختارة ، ت . سعيد البيشاوي و هي من الدراسات المهمة مع ملاحظة أنها نتاج خمسينيات القرن الماضي ،و لا نغفل هنا ملاحظة أن المستشرق البريطاني البارز هاملتون جب امتاز بتفوقه في دراسة العصر الأيوبي عن عهد نور الدين .

كذلك هناك جهد المستشرق الفرنسي نيكيتا اليسيف ، أنظر دراسته :

لا نغفل هنا ملاحظة اتجاه نيكيتا اليسيف إلي المنهج السردي و الوصفي في كتاب الذي وقع في ثلاثة أجزاء اشتمل الجزء الأول علي عهد عماد الدين زنكي كمقدمة

openkandil.com

لعهد نور الدين محمود و مع ذلك فإن بحوثه عن ألقاب نور الدين محمود و الآثار التي ترجع لها أهمية خاصة .

N. Elisseeff , Nur ad- Din un grand prince Musulman de Syrie au Temps des Croustades (511- 569 H. / 1118- 1174.) 3 Vols ., Damas 1967.

و قد قام سليم قندلفت بترجمة الجزء الثاني .

لا نغفل هنا ملاحظة اتجاه نيكيتا اليسيف إلي المنهج السردي الوصفي في كتابه الذي وقع في ثلاثة أجزاء اشتمل الجزء الأول علي عهد عماد الدين زنكي كمقدمة إلي عهد نور الدين محمود ، ومع ذلك فإن بحوثه عن ألقاب نور الدين محمود، و الآثار التي ترجع إلي عهده لها أهمية خاصة .

ذلك عرض تعريفي موجز عن نور الدين محمود و مصادر تاريخه .

obeikandl.com